

دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية المعاصرة

فرامرز ميرزايي^١، علي باقر طاهري نيا^{٢*}

من أهم الموضوعات التي يعالجها الباحث في الأدب المقارن هي دراسة مستوى تأثير مفكر أو كاتب ما في أدب أمة أخرى؛ فعلى الباحث في هذا المضمار أن يُحدّد نقطة البدء في التأثير، من مؤلفات الكاتب، أو من كتاب واحد، أو من شخصية ذلك المفكر. وكذلك يجب تحديد الوسط المتأثر بلداً كان، أم مجموعة مؤلفين، أم مؤلف واحد. وأخيراً على الباحث أن يُحدّد مدى هذا التأثير وإطاره. ثم إن هناك أنواعاً من التأثير، وهناك التأثير الشخصي والتأثير الفني، ثم التأثير الفكري.

إن السيد جمال الدين المشهور بالأوساط العربية بجمال الدين الأفغاني ككاتب فارسي ومفكر إيراني قد أثر على العالم العربي تأثيراً مدهشاً. ولكن الباحثين في حياة السيد جمال الدين قد عنوا عناية بالغة بدراسة تأثيره السياسي في الصحوة الإسلامية في الشرق غافلين عن تأثيره الهام في النهضة الأدبية المعاصرة أو مروا عليه مرور الكرام. نحن نلاحظ أن هذا التأثير قد اقتصر على تأثير السيد جمال الدين الشخصي والفكري في الأدب العربي المعاصر. إذ أنه بشخصيته الفذة وفكره العظيم استطاع أن يؤثر على رواد النهضة الأدبية الحديثة - شعراً ونثراً - تأثيراً هاماً.

لقد حدث التغيير الجذري والتطور الواسع في الأدب العربي المعاصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث تزامن مع دخول السيد جمال الدين مصر واستقراره في القاهرة، وكان جمال الدين قد استطاع بفضل نشاطاته الفكرية والسياسية والاجتماعية، أن يكون جماعة فذة من الأدباء والمثقفين الذين بدورهم قد أعدوا الأجواء المناسبة للنهضة الأدبية المعاصرة. وبهذا لعب جمال الدين دوراً هاماً في إعطاء دفعة قوية للنهضة الأدبية الحديثة وذلك بالطرق التالية:

أ - إغْدَاد الأجواء المناسبة للنهضة الأدبية بواسطة الإصلاح الديني والصحوة الإسلامية والوعي القومي.

ب - كتابة مقالات سياسية في الصحف والجرائد بلغة سهلة تقل فيها الصنعة، والدعوة إلى تحرير الكتابة من التعقيد والتقليد وجعلها في خدمة الفكر لا في خدمة الأسلوب، وبذلك فتح الطريق أمام الكتاب والأدباء لتطوير الكتابة الأدبية.

ج - إن محمود سامي البارودي كرائد للعصر العربي المعاصر كان من تلاميذ السيد جمال الدين وتأثر بأفكاره تأثيراً شديداً

د - إن محمد عبده رائد النثر المعتدل كان من أقرب تلاميذ السيد جمال الدين و كان بدوره قد أثر على المنفلوطي والذي يعد رائد النثر العربي الحديث

الكلمات الرئيسية: الادب المقارن، النهضة الادبية، الادب العربي الحديث، السيد جمال الدين الاسدآبادي

١. أستاذ مساعد في جامعة أبي علي سينا، همدان، ايران

٢. أستاذ مساعد في جامعة أبي علي سينا، همدان، ايران

المقدمة

إن دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة المعاصرة، موضوع يعالج في إطار «الأدب المقارن» والأدب المقارن مفهوم حديث صار علماً من علوم الأدب الحديثة وأخطرها شأناً وأعظمها جدوى. مدلول «الأدب المقارن» تاريخي، إذ أنه يَدْرُس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير و تأثيراً كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر^١، ومن ثم يُهَيِّئ السبيل لاستيعاب النصوص الأدبية استيعاباً دقيقاً، ويساعدنا على التعرف على الأسباب المؤدية إلى نشأة ظاهرة أدبية، خاصة إذا كانت الأسباب خارجية.

فمن الواضح أن الأدب المقارن يلعب دوراً هاماً في معرفة التأثير والتأثر المتبادلين بين آداب الأمم المختلفة و بذلك يساعدنا في التعرف بعضها على بعض وترسيخ العلاقات الثقافية الثنائية بينها.

ومن أهم الموضوعات التي يعالجها الباحث في الأدب المقارن هي دراسة مستوى تأثير مفكر أو كاتب ما في أدب أمة أخرى؛ فعلى الباحث في هذا المضمار أن يحدد نقطة البدء في التأثير من مؤلفات الكاتب أو من كتاب واحد أو من شخصية ذلك المفكر وكذلك يجب تحديد الوسط المتأثر بلداً كان أم مجموعة مؤلفين أم مؤلف واحد وأخيراً على الباحث أن يحدد مدى هذا التأثير وإطاره. «ثم أن هناك أنواعاً من التأثير، مثل التأثير الشخصي كتأثير «روسو»، أو التأثير الفني كتأثير مسرحيات «شكسبير» في أصحاب المذهب الرومانتيكي من الفرنسيين وتأثير «لافونتين» في القصة العربية على لسان الحيوان، ثم التأثير الفكري كتأثير «فولتير» في الآداب الأوروبية.»^٢

فيتضح مما ذكرناه، أن أسلوب البحث والدراسة في مجال تأثير السيد جمال الدين الأسد آبادي، المعروف عند الأوساط العربية بالأفعائي، في النهضة العربية المعاصرة، ككاتب فارسي ومفكر إيراني قد أثر على العالم العربي تأثيراً كبيراً مدهشاً. ولكن الباحثين في حياة السيد جمال الدين قد عنوا عناية بالغة بدراسة تأثيره السياسي في الصحوة الإسلامية في الشرق غافلين عن تأثيره الهام في

النهضة الأدبية المعاصرة أو مرّوا عليه مرور الكرام. نحن نلاحظ أن هذا التأثير قد اقتصر على تأثير السيد جمال الدين الشخصي والفكري في الأدب العربي المعاصر إذ إنه بشخصيته النافذة وفكره العظيم استطاع أن يؤثر على رواد النهضة الأدبية الحديثة - شعراً ونثراً - تأثيراً هاماً.

النهضة الأدبية المعاصرة

«النهضة الأدبية المعاصرة» عنوان أطلق على التطور الحديث الذي طرّق باب الأدب العربي في القرن التاسع عشر. وقد قسم مؤرخو الآداب تاريخ الأدب العربي إلى عصور مختلفة بدءاً بالعصر الجاهلي ثم الإسلامي فالأموي والعباسي و عهد الانحطاط و أخيراً العصر الحاضر. فكان الأدب في عهد الانحطاط يعاني من الصنعة والتعقيد والركاكة. فكان الأدباء يحاكون القدماء دون أي إبداع أو ابتكار في المعاني والمضامين، فأصبح الأدب تعوزه المضامين الاجتماعية والسياسية والثقافية. هذا، وإن الأدب في ظل النهضة الأدبية الأخيرة قد نهض من رقدته وصار كائناً حياً ينبض بالحياة. فاهتم الأدباء بالمسائل السياسية والاجتماعية والثقافية وصاروا يحملون الرسالة في هداية الأنام وإرشادهم إلى الطريق الصحيح. فتحولت لغة الكتابة من الغموض والركاكة والتعقيد إلى الوضوح والرواية والسهولة فأصبح للأدب دور هام في حياة الأمة العربية السياسية والثقافية والاجتماعية.

ونلاحظ أن السياسة وأحداثها الهامة هي اللبنة الأساسية لهذا التقسيم التاريخي للأدب العربي. فبناءً على هذا يبدأ عصر الأدب العربي المعاصر بغزو نابليون بونابورت مصر عام ١٧٩٨ م. حيث يوحى إلى أن النهضة الأدبية أيضاً قد بدأت تطورها فور هذا الغزو. وبما أنه لا يمكن تجاوز التأثيرات الفكرية والاجتماعية للغزو النابليوني للقاهرة ولكن الدراسات التاريخية تؤكد أن الأدب

٤. هذا ما يتبين بعد المراجعة في الكتب التاريخية، اللهم إلا أننا قد رأينا مقالاً للأستاذ الدكتور آذرشب حول دور السيد جمال الدين في الادب العربي المعاصر حيث عالج الموضوع دون تفاصيل في المؤتمر الدولي للسيد جمال الدين الأسد آبادي (العروة الوثقى، العدد الخاص بالمؤتمر الدولي للسيد جمال الدين الأسد آبادي)

٥. انظر في: «تاريخ آداب اللغة العربية»، جرجي زيدان، ص ٣٦٥، في الادب الحديث»، عمر الدسوقي، ص ٢١. «تاريخ الادب العربي»، احمد حسن الزيات، ص ٣٨٧. «الادب العربي المعاصر في مصر»، شوقي ضيف، ص ١١.

١. Comparative Literature

٢. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، بيروت، دار العودة، الطبعة الثالثة، ص ٩.

٣. المرجع السابق، ص ٩٨.

لقد سبقت الإشارة الى أنَّ النهضة الأدبية قد حدثت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وذلك إثر التطورات السياسية والفكرية التي وقعت آنذاك فماذا كانت تلك التطورات؟ وكيف حدثت؟ والجواب إنَّ دَلَّ على شيءٍ فإِثْمًا يدلُّ على مستوى تأثير السيد جمال الدين في الأدب العربي المعاصر.

يرى عمر الدسوقي، المؤرخ و الناقد العربي المعاصر، أنَّ جمال الدين هو الدافع الأساسي وراء هذه التطورات التي أدت في نهاية المطاف إلى إنشاء أدب حي يهتم بالمسائل اليومية، فقال: «إذا أردتَ أنْ تفقَ على الروح التي تكمن من وراء هذا الأدب الحي والتي بعثت في الشرق الاسلامي كلَّ حيوية دافقة وهزته هزة عنيفة ... فاعلم أنَّ الروح تمثلت في السيد جمال الدين الأفغاني ليدلن له الشرق الاسلامي بيقظته القومية والفكرية في العصر الحديث.»^٤

دخل السيد جمال الدين مصر عام ١٨٧١ م واندمج في حياة مصر الاجتماعية والفكرية ومكث فيها ثماني سنوات كانت من أثمر عصور الحياة المصرية وأكثرها خيراً وبركةً. إنه كان يُدرّس في بيته الفلسفة والمنطق والفلك لأصدقائه راجباً أن يستخدم أسلوباً حديثاً ملائماً لمقتضى العصر. كان لجمال الدين ندوة ثانية في قهوة البوسطة بجوار الأزبكية حيث يلتفّ حوله جماعة من الأدباء والأطباء والمهندسين ويأخذون من فمه ما كان يصرح به من الموضوعات اليومية حراً طليقاً. كان يرتاد في هذه الحلقات تلاميذه المقربون كأمثال محمود سامي البارودي، والشيخ محمد عبده، ومحمد المولحي، وإبراهيم اللقاني، وسعد زغلول وأديب اسحاق. فاستطاع جمال الدين، بالقاء محاضراته ليلاً في المقهى والقاء الدروس نهاراً في بيته، وبهذا تربى جماعة لامعة من اصحاب الفكر والرأى تربية حسنة.

في حلقات دروسه هذه، لم يكن جمال الدين يعالج الموضوعات السياسية فحسب بل كان يحرض الشبان و تلامذته على نشر المقالات في الصحف رغبة في الوصول إلى ما كان يستهدفه كما كان يحثهم على إنشاء المجلات السياسية وإدارتها، ثم كان ينشر بنفسه مقالاته فيها. ويطلب الى من يتوسم فيه المقدرة والمنفعة أن يكتب فيها، وطلب من الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقاني أن

وأساليبه لم تتغير تغييراً يذكر إلا في أواخر القرن التاسع عشر، فبقى النثر والشعر على حالهما الموروثين عن عهد الانحطاط ولم يحدث أي تطور هام في الموضوعات الأدبية وأساليب الكتابة.

أنَّ مؤرخي الادب العربي ونقاده حين يذكرون رائد الشعر العربي الحديث يشيرون الى محمود سامي البارودي كرائد للشعر العربي المعاصر، و إننا لنعلم أنَّ قصائده الرائدة قد ظهرت في السبعينات، والثمانيات أو التسعينات من القرن التاسع عشر، أي بعد الغزو النابليوي لمصر بمدة ثمانين سنة. أويذكرون محمد عبده ولطفى المنفلوطي كرواد النثر العربي و يعلم الجميع أنهما عاشا في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين.^٥

اذن مع أنَّ مؤرخي الأدب العربي قد اعتبروا سنة ١٧٩٨ بداية لعصر النهضة الحديثة لكنه ينبغي لنا أن نؤخرها إلى قبيل نهاية القرن التاسع عشر، أي بعد ثمانين سنة، إذ تحول أسلوب الكتابة تحولاً واسعاً واصطبغ الأدب بصبغة الموضوعات السياسية والاجتماعية. وهذا ما أقرَّ به بعض نقاد العرب حين ذكر «أنَّ الأدب لم يتغير بعد الحملة الفرنسية عما كان عليه قبلها فضلاً عن أنه لا يمكن أن نؤرخ لبداية عصر الأدب الحديث بحادث احتلال أجني لبلادنا مهما كانت نتائجه.

وأرى أنَّ أدبنا الحديث يبدأ منذ قيام الثورة العرابية عام ١٨٨١ م إلى اليوم، ففى ذلك الحين ظهر أثر الثورة السياسية والفكرية في أدبنا وقام الأدب الحديث في النثر بريادة الإمام محمد عبده، و في الشعر بريادة محمود سامي البارودي»^٦.

تأثير السيد جمال الدين المباشر في النهضة الادبية المعاصرة

في اطار البحث العلمي - كما ذكرنا في المقدمة - يجب علينا أن نحدد نقطة البدء في التأثير الشخصي والفكري للسيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية الحديثة ومدى تأثير رواد النثر والشعر في الأدب العربي المعاصر بشخصيته وبفكره.

١. عمر الدسوقي، في الادب الحديث، الطبعة الثامنة، القاهرة، دارالفكر، ١٩٧٣ م، ج ١، ص ٢٨٤-٣٠٠
٢. حنا الفاحوري، الجامع في تاريخ الادب العربي، الطبعة الاولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٨٦، ج ٢، ص ٢٢-٢٣
٣. محمد عبدالنعم خفاجي دراسة في الادب العربي الحديث ومدارسه، الطبعة الاولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٩٢، ج ١ ص ٢٢

٤. عمر الدسوقي، السابق، ص ٣٢٧

٥. عمرالدسوقي، محمود سامي البارودي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ص ١٦.

٦. عمر الدسوقي، في الادب الحديث، ج ١، ص ٣٣٣.

يشتركاً في تحرير جريدة التجارة التي أنشأها أديب إسحاق وكتب السيد جمال الدين في هذه الجريدة مقالين^١.

قدّم السيد جمال الدين ببذل جهوده المستمرة جماعة فذة من الأدباء والكتاب اللذين كانوا يتابعون أفكاره ويعلمون ليل نهار في ساحتي السياسة والاجتماع، فيوظفون العقول و ينهجون الأفكار^٢. ومن ثم صاروا كتاباً لامعين كان باستطاعتهم أن يعبروا عن آرائهم في المسائل المختلفة بلغة سهلة غير متصنعة يفهمها الجميع دون عناء.

وبهذا حوّل جمال الدين وتلاميذه مجرى الأدب فجعلوه في خدمة الأمة يطالب بحقوقها و يحرض الناس على أن يتغنوا بحقهم في الحرية وأخذ الأدب يتحدث عن الشعب، بدا ذلك في مقالات محمد عبده و أديب إسحاق...^٣

لم يكن جمال الدين مفطوراً على اللغة العربية مطبوعاً على اساليبها الفصيحة، لأنها ليست لغته الأم وإنما تعلمها تعليماً، ولكنه أفادها فائدة جلية بإرشاد تلاميذه إلى التحرر من القيود الثقيلة كسجع متكلف ممقوت و استعارات غريبة وغير ذلك مما أفسد المعنى، كما أرشدتهم إلى تجنب المقدمات الطويلة؛ ومن الطبيعي إن يصرفهم إلى الاهتمام بالمعاني. وبما أنه لم يكن من المطبوعين على أساليب العربية الجميلة، إلا أنه كان ينتزع البلاغة انتزاعاً فترى لقلمه سطوة لا ترى لكثير من الأقلام^٤.

علم جمال الدين أنه إذا أراد أن يوقظ عقول المصريين فعليه أن يخاطبهم بلغة سهلة واضحة خالية من الصنعة يفهمها الناس فهما واضحاً سريعاً. فبناءً على هذا كان قد دعا إلى تحرير الكتابة من التعقيد و التقليد وجعلها في خدمة الفكر لا في خدمة الأسلوب، كما دعا إلى تحرير الفكر الديني من الجمود و إلى اطلاق العقل في تحرياته و احكامه^٥. وبهذا هجر الناس السجع المتكلف و الزخارف اللفظية وكان لجمال الدين و محمد عبده والبارودي أثر ضخم في تطور الادب وتحريره من قيده القديم و تطلعه الى كل جديد، وإلى

التعبير عن النفس الإنسانية في صدق و إخلاص وقوة^٦. وهكذا نراه رأي العين حيث لعب دوراً هاماً في النهضة الأدبية في العالم العربي، إذ كانت النهضة نشأت على أساسين هامين هما الإصلاح السياسي والإصلاح الديني اللذين يدين حدوثهما في العالم العربي للسيد جمال الدين الأسد آبادي. و من هنا حدث التطور الاساسي للادب العربي في نفس الزمن بفضل الكتاب الذين تربوا مباشرة على يد هذا الرجل الكبير.

الوسط الادبي المتأثر ومدى تأثيره بالسيد جمال الدين

رغبة في إيضاح دور السيد جمال الدين في النهضة الأدبية، لا بد أن نتعرف على من تأثروا به و بفكره، ثم نعالج دورهم في التطور الأدبي للنهضة الأدبية الحديثة.

١ - محمود سامي البارودي (١٨٣٨ - ١٩٠٤ م)

إن مؤرخي الأدب العربي و نقاده لقبوه «رب السيف والقلم» إذ كان شاعراً قوياً، كما كان عسكرياً شجاعاً. كان في عهد ثورة عرابي باشا سنة ١٨٨١ م رئيساً للوزراء حيث دافع عن الثوار بكل ما كان بوسعه، ولما أخفقت الثورة قدم إلى المحاكمة وحكم عليه بالنفي إلى «سرنديب» فظل بها سبعة عشر عاماً وبعض عام.

ان النقاد قد أجمعوا على أن البارودي هو رائد الشعر العربي المعاصر، أخذ ينهض بالشعر نهضة أحييت مكانته ويثب به وثبة ردت إليه صولته، فأرسله جزل العبارة وفخم الأسلوب وكان أعظم المظاهر في تطور الشعر على يدي البارودي هي التزوع به أساليب البلاغة العربية وترك الإفراط في المبالغات وعدم الإكتراث بالחסنات البديعية^٧. وصرح بذلك الدكتور هيكل في مقدمة ديوان سامي البارودي قائلاً: «إن شعر البارودي كان في عصره جديداً كلّهُ، كانت محاكاته للأقدميين جديدة، وكانت معارضته إياهم

٦. عبدالمعنى خفاجي، المصدر السابق، ص ١٧

٧. كان أحمد عرابي باشا وزيراً للحرب في وزارة سامي البارودي، فقام العسكريون في وجه وزارة نوبارباشا المفروضة، كان وزير العمل في وزارته فرنسياً و وزير المالية انجليزياً والبلاد خاضعة للأجانب، انهمزت الثورة بسبب التدخل العسكري من قبل الانجليز فأعدم الثوار و حبسوا و شردوا. (عمر الدسوقي، المصدر السابق، ص ٢٢١ -

(٢٢٤)

٨. عبدالمعنى خفاجي، المصدر السابق، ص ٧٤

١. المرجع السابق، ص ٣٣٦

٢. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الطبعة؟، دار مكتبة الحياة، ج ٤، ص

٦٤٢

٣. عبدالمعنى خفاجي، المصدر السابق، ص ٢٧

٤. عمر الدسوقي، المصدر السابق، ص ٣٤٩ - ٣٥٠

٥. حنا الفاعوري، المصدر السابق، ص ٨١

أمرانِ مَا اجتماعاً لقائدِ أمةٍ
إلا جَنَى بِهِمَا ثَمَارَ السُّودَدِ
جمعُ يكونُ الأمرُ فيما بينهم
شورى، و جُنْدٌ للعدوِّ بمِرْصَدِ
هيهاتَ يحى الملكَ دونَ مشورةٍ
و يعزُّ ركنَ المجدِ مَا لم يَعْمَدِ

وفي الايات التالية نراه يشير إلى العدالة والشورى والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر كخصائص ممتازة في زمن رئاسته فيرى
أما أمر مفروض من الله تبارك وتعالى:

ولكنني ناديتُ بالعدلِ طالباً
رضى الله واستنهضتُ أهلَ الحقائقِ
أمرتُ بالمعروفِ وأنكرتُ مُنْكَراً
وذلك حكم في رقابِ الخلائقِ

وهل دعوةُ الشورى على غضاضة
وفيها لمن يبغي الهدى كُلَّ فارقِ
بلى إنها فرضٌ من الله واجبٌ
على كُلِّ حيٍّ من مسوقٍ وسائقِ
كيف يكونُ المرءُ حراً مهذباً
و يرضى بما يأتي كُلَّ فاسقِ

جديدة، فقد هوى الشعر العربي قبله إلى درك من الانحلال جعله
بالنسبة إلينا شيئاً منسياً^١ إنَّ البارودي أنقذ الشعر من عثرة
الأساليب الركيكة والإبتذال في المعاني، وردَّ إليه الحياة والروح،
حياة نفسه وروح عصره وقومه في الفترة التي عاش فيها إذ جعله
متنفساً حقيقياً لعواطفه ومشاعر امته وما ألم بها من أحداث
وخطوب^٢. و لذلك كرمه الأدباء والنقاد تكريماً واسعاً وجعله
الشعراء من أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم... قدوة لأنفسهم.
وكما ذكر آنفاً، كان البارودي تلميذاً للسيد جمال الدين
وتأثر بشخصيته وبافكاره تأثراً شديداً، أكد ذلك الدكتور عمر
الدسوقي حيث قال: «لا نستطيع ونحن نتكلم عن الحياة العقلية في
عصر البارودي أن نغفل شخصية علمية كان لها أكبر الاثر في حياة
شاعرنا (البارودي)، ألا وهي شخصية السيد جمال الدين الأفغانى^٣
هذا، وقد انعكس صدى آراء جمال الدين في شعر البارودي
السياسي، والشعر السياسي الوطني من أهم الاغراض الشعرية التي
أبدع فيها البارودي حيث دفعه الى مركز الصدارة بين أبناء شعبه
وجعل منه زعيماً محبوباً و هو ذلك الشعر الذي القى به في غيابة
السجن و رمى به بعيداً عن وطنه. إنَّه قد تأثر بجمال الدين في
شعره السياسي تأثراً واضحاً، فنراه يدعو إلى الإصلاح السياسي
والأخذ بنظام الشورى الذي كان أساساً للدعوة الإصلاحية للسيد
جمال الدين و الذى كان يحرض الحكام على قبولها:

سنَّ المشورة و هي اكرم خطة
يجرى عليها كُلُّ راعٍ مُرشدِ
هى عصمةُ الدين التي أوحى بها
رب العباد الى النبي محمد
مَنْ اسْتَعَانَ بها تأيد ملكه
و من استهان بأمرها لم يرشد

٢ - الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥)

الشيخ محمد عبده كان أكثر تلاميذ السيد جمال الدين اشتهاًراً و
أشدهم تأثراً به. كان له دورٌ هامٌ في الإصلاح الديني وتنقيته مما ألم
به من خرافات ولم يلبث أن مزج بهذه الدعوة دعوة عامة إلى إنقاذ

١. عمر الدسوقي، سامي البارودي، ص ٥١.

٢. شوقي ضيف، الادب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف

بمصر، ١٩٦١، ص ٤٤.

٣. عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ص ٨٨.

كان المنفلوطي قد التقى بالشيخ محمد عبده وتلمذ عليه وأخذ عنه روح الانفتاح وانطلق إلى جانبه في عالم الأدب والاجتماع والحمكة. وقد ساد أسلوب المنفلوطي وآثاره في الأجيال المختلفة حيث اقتحم دور التعليم في معظم البلدان العربية، ولعل هذا ما حدا عباس محمود العقاد على إطلاق تسمية «عهد منفلوطي» على فترة من تاريخ مصر الأدبي.

٣ - أديب إسحاق (١٨٥٦ - ١٨٨٥)

ولد أديب إسحاق في دمشق ونشأ في بيروت وعمل في مصر وفرنسا. كان من أسبق أدياء النهضة وألمعهم، التقى بجمال الدين وتأثر به وبغيرته على الشرق، إذ هما على خط واحد في الميدان الاجتماعي. فكتب مقالات سياسية كثيرة في محاربة الملكية المطلقة والسيطرة الأجنبية والتعصب والتأخر. فاز أديب إسحاق بسلامة لغة وصحة بيان ارتفعتا بالإنشاء العربي في نطاق العصر الحديث إلى مستوى عصور البلاغة الأولى، وهو كثير الاستعانة بالسجع إلا أنه لا يصير فيه إلى التكلف، وبذلك خدم الصحافة العربية السياسية والأدبية ورفع مستوى الإنشاء الصحفي بما تولى من جرائد ومجلات^١. وقد قال إسحاق عن أسلوبه الذي تأثر فيه بتعاليم جمال الدين وأسلوبه الملتهم: «رأيت أن أصرف العناية والاجتهاد إلى تهذيب العبارة، وتقريب الإشارة لتقرير المعنى في الأفهام، من أقرب وأعذب وجوه الكلام وانتقاء اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق، متجنباً من الكلام ما كان غريباً وحشياً أو مبتذلاً سوقيّاً، فإن التهافت إلى الغريب عجز وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الإنشاء داءً إذا سرى في القراء والمطالعين أدّى إلى فساد عام وأغلق على الطلبة معاني كتاب العلم. والتنازل إلى ألفاظ العامة يقضي بإماتة اللغة وإضاعة محاسنها، وإن في لغة القوم لدليلاً على حالهم»^٢.

٤ - محمد المويلحي (١٨٥٨ - ١٩٣٠)

ليس في العالم العربي من لم يعرف كتاب «حديث عيسى بن هشام» للمويلحي فقد تتلمذ على والده في الأدب و اتصل بأئمة

الإسلام والمسلمين مما حلّ بهم من تأخر واضمحلال و فكر في وطنه و ما أصابه من جور حكامه و سوء أحواله الاجتماعية. و هذا بدوره كان من أهم عوامل التطور الأدبي في النهضة الحديثة. و مما لاشك فيه أن جمال الدين هو الذي دفع الشيخ محمد عبده دفعاً قوياً في هذا الاتجاه إذ كان يلزمه في بيته و في غداوته و روحاته وهو يلقي دروسه الدينية والفلسفية داعياً إلى الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي. وقد أخذ يحرر تلاميذه وعلى رأسهم محمد عبده على الخطابة وإنشاء المقالات في الصحف وتحوّل إلى التلميذ جميع تعاليم أستاذه وتأججت في صدره حماسة لاهية لخدمة دينه ووطنه. اشترك في الثورة العراقية حتى إذا أخفقت حُكم عليه بالنفي، فذهب إلى بيروت ثم تركها إلى باريس ليلتحق بجمال الدين و أصدرها هناك صحيفة «العروة الوثقى»، يذيعان فيها على مصر والعالم الإسلامي ما يوقد نار الحمية الإسلامية في النفوس^٣.

كان للشيخ محمد عبده دور هام في تطور النهضة الأدبية المعاصرة حيث اعتبر من أركان مدرسة الاعتدال في النثر الذي جمع بين القديم والحديث وكان خطوة مركزة في أسلوب صحيح و تفكير قيم^٤. ذكر بعض النقاد «أنه خير من صور تطور النثر العربي في القرن التاسع عشر. أسلوب محمد عبده في النثر أسلوب طبيعي يعتمد على جزالة اللفظ كما كان يعتمد أسلوب البارودي في الشعر على رصانة الكلمات و كأنّ ما حدث في الشعر حدث نظيره في النثر، فقد عادت اللغة إلى حريتها وطلاقتها ولم تعد ترزح تحت معوقات السجع والبديع»^٥.

ومن الواجب أن نذكر هنا المنفلوطي حيث كان من أبرر تلاميذ محمد عبده. فقد عُني بأسلوبه وأدى معانيه فيه أداءً بديعاً ولم يحاول في ذلك أسلوب السجع الذي أهمل و إنما حاوله في الأسلوب المرسل الجديد، ولكنه عني عناية بارعة بهذا الأسلوب وكان الشباب من الكتاب في أول القرن العشرين مُعجبين بهذا الأسلوب إعجاباً شديداً. وظلّ ذلك الإعجاب يرافق الأدب العربي طويلاً وبذلك صار رائداً للنثر الحديث^٦.

١. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

٢. حنا الفاحوري، المصدر السابق، ص ٢٣.

٣. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

٤. هاميلتون جب، دراسات في الأدب العربي الحديث، دمشق، المركز العربي للكتاب،

٥. حنا الفاحوري، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٦. رثيف خوري، نصوص التعريف في الأدب العربي، عصر الإحياء والنهضة، الطبعة

الأولى، بيروت، لجنة التأليف المدرسي، ١٩٧٥، ص ١٨٥.

٧. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ص ١٣٠.

العربي المعاصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث تزامن مع دخول السيد جمال الدين مصر واستقراره في القاهرة، وكان جمال الدين قد استطاع بفضل نشاطاته الفكرية و السياسية و الاجتماعية، أن يكونَ جماعةً فذةً من الأدباء و المثقفين بدورهم مهدوا السبيلَ المناسبةَ للنهضة الأدبية المعاصرة. واستناداً على هذا لعب جمال الدين دوراً هاماً في إعطاء دفعة قوية للنهضة الأدبية الحديثة وذلك بالطرق التالية:

أ- تهيئة السبيل الناجحة للنهضة الأدبية، حيث جعلَ الإصلاحَ الدينيَ والصحوَّةَ الإسلاميةَ والوعيَ القوميَّ منطلقَ النضال الوطني.
ب- نشر المقالات السياسية في وسائل الاعلام المتيسرة في ذلك الزمن بلغة سهلة تقل فيها الصنعة والدعوة إلى تحرير الكتابة من التعقيد والتقليد وصبرها في خدمة الفكر لا في خدمة الأسلوب. وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمام الكتاب والادباء للتطوير الكتابة الأدبية.

ج- ان محمود سامي البارودي كرائد للشعر العربي المعاصر والشيخ محمد عبده رائد للنثر المعتدل كانا من تلامذة السيد جمال الدين و تأثرا بأفكاره. ولا يخفى على أحد الأثر الذي تركه محمد عبده على المنفلوطي الذي يعد رائد النثر العربي الحديث.

المصادر والمراجع

- ١- خفاجي، محمد عبدالمعتمد؛ دراسة في الأدب الحديث و مدارسه، الطبعة الأولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٩٢ م.
- ٢- خوري، رثيف؛ نصوص التعريف في الأدب العربي، عصر الاحياء و النهضة، الطبعة الأولى، بيروت، لجنة التأليف المدرسي، ١٩٧٥ م.
- ٣- الدسوقي، عمر؛ في الأدب الحديث، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٣ م.
- ٤- الدسوقي، عمر؛ محمود سامي البارودي، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف بمصر.
- ٥- زيدان، جرجي؛ تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة احياء التراث، ١٩٦٧ م.
- ٦- عبدالسلام الشاذلي؛ شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٥ م.
- ٧- ضيف، شوقي؛ الأدب العربي المعاصر في مصر؛ الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١ م.

العلماء و الأدباء من امثال السيد جمال الدين آسدي و محمد عبده و حسين المرصفي و سامي البارودي فحذق العربية و برع فيها.

كان المولى محبا للأدب العربي خاصة التراث العربي المجيد، فيعود إلى الحذر من التورط في الانسلاخ من ماضى الأدب العربي و الارتقاء في لجج الحياة الغربية. لأجل هذا نشر كتابه القصصى «حديث عيسى بن هشام» مسلسلاً في جريدة مصباح الشرق منذ عام ١٩٠٠ متأثراً بالموروث القصصى القديم خاصة المقامات. يعتبر هذا الكتاب أفضل أثر قصصى في بداية القرن العشرين. وقد أهدى المولى كتابه هذا الى كل من يقرؤه من أديب يجد فيه طرفاً من الأدب و حكميم يرى فيه لحة من الحكمة، وإلى ارواح جمال الدين و محمد عبده و الشنقيطي و البارودي ويردف ذلك بأنهم هم الذين تأدب بأدبهم و أخذ عنهم، و صدر الكتاب برسالة من الأفغانى {الأسد آبادى} إليه بمناسبة ظهور الطبعة الأولى من الكتاب.

كان المولى من تلامذة جمال الدين و كان يشارك حلقات درسه و قد ساهم في الثورة العرابية كسائر تلامذته و بعد اخفاق الثورة ترك القاهرة نحو باريس ملبياً دعوة أستاذه للمشاركة في نشر مجلة «العروة الوثقى».

والمسلم به أن هناك جمعاً غفيراً من الادباء و الكتاب الذين تأثروا بجمال الدين و افكاره و لاتسعا الفرصة لكي نعالج حياتهم الأدبية و السياسية و مدى تأثرهم بأستاذهم العبقري، السيد جمال الدين، من امثال الأمير شكيب أرسلان الملقب بامير البيان و ابراهيم اللقاني و عبدالله باشا و آخرون...

النتيجة

تبين مما مر، أن التغيير الجذري و التطور الواسع قد حدث في الأدب

١. عبدالمعتمد خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث و مدارسه، ج ٢، ص ٣٤٤
٢. يحيى ابراهيم عبد الدائم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، دار احياء التراث، ١٩٧٤، ص ٦٩
٣. عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٥، ص ٧٤-٧٥.
٤. عبد المعتمد خفاجي، المصدر السابق، ص ٣٤٣.
٥. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٣٥

- ٨- عبد الدائم، يحيى ابراهيم؛ الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث، الطبعة الأولى، بيروت دار احياء التراث، ١٩٧٤ م.
- ٩- غنيمى هلال، محمد؛ الأدب المقارن؛ الطبعة الثالثة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٢ م.
- ١٠- الفاخورى، حنا؛ الجامع فى تاريخ الأدب العربى (العصر الحديث)، الطبعة الأولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٨٦ م.
- ١١- جب، هاميلتون؛ دارسات فى الادب العربى الحديث، دمشق، المركز العربى للكتاب.